النعمة والحق

Mar
Apr

3-4

2023

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الحادية والثلاثون

مارس وأبريل ٢٠٢٣

العدد ١٨٢

في هذا العدد

افتتاحية العدد	أهم الكلمات	١
موضوع العدد	كلمات المسيح على الصليب	٢
موضوع العدد	كلمات حسنة من فم رجل شرير جداً	٨
موضوع العدد	كلمات يشوع الأخيرة	١٣
موضوع العدد	الكلمات الأخيرة لشخصيات الكتاب المقدس	٢٠
الأخبار السارة	العبارة الأخيرة من فوق الصليب	٢٧
دراسات مسلسلة	حياة بولس	٢٨
تأملات هادئة	إكليل الحياة	٣٢
من روائع الكلمة	حياة الأبرار.. وموتهم!	--

ليتك تتعرف على

المسيح فتختبر الحياة

الفضلي وتختم حياتك

بأفضل ما يكون

❁

اقرأ الأخبار

السارة

ص ٢٧

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ٣٠ جنيهاً و ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gt_mag@yahoo.com
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١- الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢١٢٤١٩ - الإسكندرية (٠٣).

أهم الكلمات

أتــذكَّر حــين كنــتُ طفــلاً أنــني كنــتُ أرنم ترنيمــة في مدارس الأحد، من تأليف ميري سليد تقول:

إلى خيمةٍ حيث يرقد طفل صغير ... يحتضر وحيدًا
في آخر النهار،
حَمَلنا خبر الخلاص، فقال: ... "لم يخبرني أحدٌ بذلك من قبل!"
القرار:
قُصَّها مرة أخرى، قُصَّها مرة أخرى! ... ردِّد قصة الخلاص مرارًا وتكرارًا،
حتى لا يصير من بني البشر مَنْ يقول: ... "لم يخبرني أحدٌ بذلك من قبل"
"هل أحبَّني إلى هذا الحد، أنا الصبي الصغير والفقير؟ ... وأرسل إليَّ بشارة الفرح؟
هل سأنجو من الهلاك؟ وهل سيمسك بيدي؟ ...لم يقُص عليَّ أحدٌ هذه القصة من قبل!"
عندما انجنينا، سمعنا كلماته الأخيرة، ... فيما كان يدخل وادي الموت.
قال: "أرسل اللّه ابنه! ... "أنا متيقن أنه أرسله لأجلي!"
وقال مبتسمًا، وهو يزفر أنفاسه الأخيرة، ... "أنا سعيد جدًا لأنه أُرسِل لأجلي".

وهمس، فيما كانت الشمس تغرب، .... قائلاً: "أؤمن يا رب؛ أخبر الباقين الآن بهذه القصة!

خطرت هذه الترنيمة ببالي وأنا أقوم بإعداد هذا العدد من المجلة، الذي يركِّز بدرجة كبيرة على الكلمات الأخيرة، أي الكلمات التي ينطق بها أحدهم قبل موته مباشرة. مثل هذه الكلمات يعتبرها الكثيرون غاية في الأهمية. إلا أن أهم الكلمات التي يمكن لأحدهم أن ينطق بها هي تلك الكلمات النابعة من القلب، اتي تقبل عطية اللّه للخلاص في ابنه، الذي أرسله كي يموت بدلاً منا. وهذه الكلمات لا يمكن أن يُنطَق بها إلا في هذه الحياة. فهل آمنتَ به حقًا؟ وهل تعيش لأجله؟

كلمات المسيح

على الصليب

وصية ربِّنا يسوع

بحسب القدر الذي نجده في الأناجيل، تكلَّم المسيح سبع مرات فيما كان معلَّقًا على الصليب. كانت ثلاثة من تصريحاته سابقةً لساعات الظلمة، بينما كانت ثلاثة تصريحات أخرى تاليةً لها. أما في المنتصف، وقرب نهاية ساعات الظلمة الثلاث، نسمع فقط تلك الصرخة المُرَّة المسجَّلة في المزمور ٢٢: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي» (مزمور ٢٢: ١؛ متى ٢٧: ٤٦؛ مرقس ١٥: ٣٤). وباقتباس الرب يسوع هذه الكلمات التي جاءت على لسان كاتب المزمور، عبَّر عن الألم البعيد عن الإدراك الناتج عن تخلِّي الله عنه بسبب خطايانا.

هذه الكلمات السبع تشكِّل، من ناحية، الوصية الروحية الأخيرة للمخلِّص المحتضر. تقدِّم التصريحات الثلاثة الأولى، على وجه الخصوص، شهادةً خاصةً عن قيمة وقوة عمل المسيح. فإننا نسمع فيها عن نتائج الآلام، تلك النتائج التي تشهد لها رسائل العهد الجديد. فإننا نرى فيها الغنى الروحي الذي وهبه المسيح لنا بفضل عمله المكتمل.

فبفضل موت المسيح، وُهِبنا ثلاث بركات خاصة:

١. غفران الخطايا، وذلك بحسب صلاة الرب يسوع إلى الآب في لوقا ٢٣: ٣٤.

٢. مكانًا في الفردوس السماوي، وذلك بحسب الوعد الذي جاء في لوقا ٢٣: ٤٣.

٣. مكانًا من المحبة والعناية في وسط أهل بيت الله هنا على الأرض، وهو ما تبيِّنه تعليمات يسوع ليوحنا في يوحنا ١٩: ٢٦-٢٧.

فإن وصية المخلص الأخيرة تشير إلى الخيرات الروحية التي ينالها خاصته بفضل آلامه وموته الكفاري. فإنه هو صاحب الوصية، لأنه هو الذي يعتني بماضي، وحاضر، ومستقبل جميع الذين هم له. وهكذا، نرى البركات الثلاث السابقة نفسها، لكن بترتيب مختلف قليلاً:

١. من جهة الماضي، نحن قد غُسِّلنا من خطايانا بدمه الثمين، ونلنا غفران الخطايا.

٢. من جهة الحاضر، وُهِبنا مكانًا آمنًا في وسط عائلة أولاد الله.

٣. تطلُّعًا إلى المستقبل ، صار فردوس الله في السماء مفتوحًا أمامنا.

ما الذي يمكن أن نشتهيه أكثر من ذلك؟

«يَا أَبَتَاهُ، ٱغْفِرْ لَهُمْ»

إنه لأمر مؤثِّر أن تكون أول عبارة ينطق بها المسيح من فوق الصليب (لوقا ٢٣: ٣٤) هي صلاةٌ لأجل أعدائه. وهو لم يصلِّ طلبًا للانتقام من الخطاة الذين سمَّروه على خشبة اللعنة، بل صلَّى طلبًا للغفران لهم. فحتى في هذا الظرف الرهيب، كان قلب المخلص مليئًا بالمحبة والرحمة تجاه الخطاة الضالين، الذين أراد أن يطلبهم ويخلِّصهم. فقد صلى إلى الآب من أجل الصفح عن الشر الذي ارتكبوه في حقه، أي في حق الابن الحبيب للآب.

ولو لم يكن قد فعل ذلك، لنتجت دينونة مدمرة دون شك عن هذا الشر. لكن، لم يكن يوم النقمة قد جاء بعد. ففي ذلك الوقت، لم ينصب غضب السماء على العالم المذنب، وإنما انصب على الشخص الذي كان على استعداد أن يصير حاملاً للخطايا، وأن يمضي إلى الموت لأجل خطاة أعداء. ونتيجةً لعمل المسيح الكفاري هذا تحديدًا، يقدَّم لنا الآن هذا الغفران الإلهي. ففي النهاية، أتى يسوع حتى يُسفَك دمه، دم العهد الجديد، «مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ ٱلْخَطَايَا» (متى ٢٦: ٢٨).

إذن، لم يكن هناك عقاب أو نقمة، بل غفران، لأن المسيح أخذ مكاننا تحت الدينونة الإلهية، وقَبِل أن يموت لأجل خطايانا. نستطيع أن نحسب عظة الرسول بطرس في يوم الخمسين تتميمًا لهذه الصلاة. فقد صلَّى المسيح لأجل غفران خطايا أعدائه، واستجابةً لهذه الصلاة، استطاع بطرس أن يقدِّم لهم ذلك الغفران، بصفته مبعوثًا وشاهدًا نائبًا عن الله. لكن كان هناك شرط واحد حتى يحصلوا على هذا الغفران. أوصى بطرس الشعب آنذاك قائلاً: «تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى ٱسْمِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ ٱلْخَطَايَا» (أعمال الرسل ٢: ٣٨). ثم أضاف في أعمال الرسل ٣: ١٧ أنهم

قتلوا الرب بجهالة، الأمر الذي يتفق تمامًا مع كلمات المسيح: «ٱنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤).

هذا الخبر السار المتعلِّق بغفران الخطايا يمثِّل جزءًا أساسيًّا من رسالة الإنجيل. وإننا نجده في نص الإرسالية العظمى، في متى ٢٨، وكذلك عندما ظهر المسيح لتلاميذه في لوقا ٢٤. وأشير إليه أيضًا في عظة الرسول بطرس، وفي كرازة الرسول بولس أيضًا. فما أن ابتدأ بولس عمله التبشيري، نودي بغفران الخطايا (أعمال الرسل ١٣: ٣٨-٣٩). كذلك، ذكر بولس غفران الخطايا تحديدًا في رسالتيه إلى أفسس وكولوسي، حاسبًا إياه واحدًا من أسمى البركات التي ينالها المؤمن (أفسس ١: ٧؛ ٤: ٣٢؛ كولوسي ١: ١٤). لكن، يجب ألا ننسى أن هذه البركة هي نتاج الآلام البعيدة عن الإدراك التي قاساها الرب يسوع على صليب الجلجثة.

"ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ"

هذه العبارة الثانية، التي نسمعها من ذلك الشخص المعلَّق على الصليب، تضمَّنت وعدًا بمكانٍ في المجد السماوي: «ٱلْحَقَّ ٱقُولُ لَكَ: إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ» (لوقا ٢٣: ٤٣). تكلَّم الرب يسوع هنا بسلطانٍ إلهيٍّ. فإن كلمة "ٱلْحَقَّ"، أو "قطعًا" كما جاءت في بعض الترجمات، معناها "آمين"، وهو ما يدل على عدم وجود أدنى شك في إمكانية تحقُّق هذا الوعد. "لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ [يسوع] قَدْ صُلِبَ مِنْ ضَعْفٍ، لَكِنَّهُ حَيٌّ بِقُوَّةِ ٱللّٰهِ". فهو حتمًا يفي بوعده.

نستطيع أن نستخلص بعض الاستنتاجات من هذه الآية المهمة:

- لا توجد حاجة إلى فترةٍ من التطهير أو التنقية قبل أن يصل المؤمن الذي رحل عن العالم إلى السعادة الأبدية في السماء. ففي النهاية، قال الرب للص إنه سيكون معه في الفردوس في ذلك اليوم نفسه. وبالمناسبة، يتعلَّق رقاد الموت بالجسد وحده، الذي يظل في القبر حتى قيامته. وهذا يدحض أيضًا العقيدة التي تسمَّى "سبات الروح"، والتي تدَّعي أن القديسين الذين ماتوا يبقون في حالة سباتٍ من نوع ما حتى قيامتهم.
- أولئك الذين رقدوا في المسيح هم في محضره الآن بالفعل، وهم على وعيٍ بذلك. فإن الوعد القائل «ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ» كان وعدًا من الرب للص الذي آمن به. كان هذا الرجل ينتظر الملكوت المسياني الآتي. وقد آمن بأن الرب هو ملك اليهود، وبأنه في توقيت الله المناسب سيتسلَّم هذا الملك مملكته، التي

سيحظى القديسون القائمون من بين الأموات أيضًا بمكانٍ فيها. وبالتالي، تخلّى هذا اللص بالرجاء في أن يجد نعمة في عيني الملك عندما يحين ذلك الوقت. لكنه حصل الآن بالفعل على شيء أفضل، وهو مكان في فردوس الله، حيث يمكنه أن يتكئ ويستريح بالفعل في محضر الرب.

- في لوقا ١٦، كان هذا المكان لا يزال يسمَّى «حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ»، لأن الرب لم يكن آنذاك قد أكمل عمله على الصليب بعد. لكن منذ قام المسيح من بين الأموات، وتمجَّد عن يمين الله، لم يَعُد إبراهيم، أبو جميع المؤمنين، هو محط الأنظار. فقد صار الوجود مع المسيح الآن هو أفضل جدًا (فيلبي ١: ٢٣). لا ينطبق هذا فقط على الحالة الوسطية، أي الحالة ما بين الموت وقيامة الأجساد. فعند قيامة القديسين الراقدين، وتغيُّر المؤمنين الباقين أحياءً آنذاك على الأرض، عند الاختطاف، سينطبق ذلك الوعد نفسه عليهم: «هَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ ٱلرَّبِّ» (١تسالونيكي ٤: ١٧)
- ومنذ ذلك الحين فصاعدًا، أُطلِق على هذا المكان اسم "الفردوس"، وهو بمثابة النظير السماوي لجنة عدن. وهو يقع في السماء الثالثة، التي هي موضع سكنى الله. وبالتالي، فإنه "فِرْدَوْسِ ٱللهِ"، بحسب رؤيا ٢: ٧. ولا يستطيع الإنسان أن يخرب هذا الفردوس كما فعل في جنة عدن الأرضية. فإن الفردوس السماوي يحمل ختم الكمال الإلهي.
- كذلك، في الفردوس، لا وجود لشجرة معرفة الخير و الشر، أو لإغراءات الخطية، بل إن المسيح يسكن هناك، بصفته شجرة الحياة الحقيقية، والروح القدس هو مصدر الماء الحي (يوحنا ٤: ١٤-٢٤؛ ٧: ٣٧-٣٩؛ رؤيا ٢٢: ١-٢). فإن عطش القلب سيُروَى، وجوعه سيُشبَع بكل الطرق. من أجل ذلك، يتمتع الذين رقدوا في المسيح بالفعل بفرح لا ينطق به في محضر الله (٢كورنثوس ١٢: ٢-٤). فهم يسمعون كلمات مجيدة، لا يسوغ لإنسانٍ على الأرض أن يتكلم بها. اختُطِف بولس إلى هذا المكان، بصفته «إِنْسَانًا فِي ٱلْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٢: ٢). وهذا هو مكان جميع الذين يتحدون بالمسيح، آدم الأخير.

«يَا ٱمْرَأَةُ، هُوَذَا ٱبْنُكِ»

دعونا الآن ننشغل لبعض الوقت بفحص هذه العبارة الثالثة التي نطق بها يسوع وهو على الصليب. فقد وجَّهها الرب إلى أمه وإلى يوحنا، التلميذ الذي كان يحبه: «فَلَمَّا رَأَى

يَسُوعُ أُمَّهُ، وَٱلتِّلْمِيذَ ٱلَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا، قَالَ لِأُمِّهِ: يَا ٱمْرَأَةُ، هُوَذَا ٱبْنُكِ. ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: هُوَذَا أُمُّكَ. وَمِنْ تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ أَخَذَهَا ٱلتِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ» (يوحنا ١٩: ٢٦-٢٧)

لم تكن هذه العبارة تتعلّق بأعداء المسيح، بل بأحبائه وأتباعه. وعند الصليب، لم يقف سوى عدد قليل من أتباعه المخلصين. وفي إنجيل يوحنا، ذُكر هؤلاء بالاسم. وقد قدَّم يوحنا، التلميذ المحبوب، دعمًا معنويًّا لمريم في خضم الألم الذي كان يجوز في نفسها، والذي تنبأ به سمعان الشيخ عندما كان يسوع طفلاً رضيعًا. وقد صار يوحنا بعد ذلك سندًا ورفيقًا لها، ليخفف عنها حزنها. وقد عيَّن الرب لكلٍّ منهما المكانة التي سيشغلها بعد موته، فحصلت مريم على ابنٍ يعتني بها، وحصل يوحنا على أم مُحِبة.

ولا يزال الأمر كذلك اليوم بين أتباع المسيح. فإن المسيح يحدِّد لنا مكاننا المناسب، وهو يريد منا أن نساند بعضنا بعضًا. ففي عائلة أولاد الله، لا يمكن للإنسان أن يعيش بمفرده، لكننا نتشارك معًا أفراحنا وأحزاننا. والرب هو الذي يحدِّد المكان الذي يجب أن نشغله في علاقاتنا بأفراد عائلة الإيمان الآخرين، وكذلك المسؤولية التي يجب أن نتولاها.

من اللافت للنظر أن يوحنا كان هو الذي أخبرنا فيما بعد بالكثير جدًا عن العلاقات المتبادلة داخل عائلة أولاد الله. فقد أظهر لنا بوضوح، في رسالة يوحنا الأولى، تلك الرسالة الأولى التي كتبها هذا الرسول، أنه ليس جميع المؤمنين يشغلون المكان نفسه. يوجد «ٱلْأَوْلَادُ» (١يوحنا ٢: ١٢-١٣) في الإيمان، الذين عرفوا الآب لتوِّهم، واختبروا أفراح الطفولة، والمكانة الرفيعة التي يتمتع بها الأبناء. آخرون قد نموا روحيًّا، وصاروا أقوياء في صراعهم مع الشرير. لكنَّ «ٱلْأَحْدَاثُ» (١يوحنا ٢: ١٣-١٤) لا يزالون بحاجة إلى بعض التحذيرات، أو النصائح المترفِّقة.

كذلك، أُطلِق على آخرين «ٱلْآبَاءُ» (١يوحنا ٢: ١٣-١٤)، لأنهم قادوا بدورهم البعض إلى المسيح. وبصفتهم آباءً في المسيح، هم يعتنون ويهتمون بأولادهم الروحيين. لم يخص الرسول هؤلاء بمزيدٍ من الإنذارات، بل كان يكفيهم أنهم يعرفون الذي من البدء، ويعيشون في شركة دائمة مع الآب والابن. يا له من امتياز أن يعيِّن الرب نفسه لنا مثل هذه المكانة من البركة بين أهل بيت الله!

«أَنَا عَطْشَانُ»

وردت العبارتان الخامسة والسادسة من كلمات المسيح على الصليب في يوحنا ١٩، في حين وردت العبارة السابعة في لوقا ٢٣. في يوحنا ١٩: ٢٨-٣٠، وُصِفت نهاية حياة المسيح في إيجاز شديد. فإننا نسمع للمرة الأولى صرخة الرب بهدف تتميم المكتوب، قائلاً: «أَنَا

عَطْشَانُ» (يوحنا ١٩: ٢٨). هذا يُذَكِّرنا بما جاء في سفر المزامير: «يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ ٱلْمَوْتِ تَضَعُنِي» (مزمور ٢٢: ١٥)؛ «وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَمًا، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلًّا» (مزمور ٦٩: ٢١). لم يرد الرب يسوع أن يشرب من الخل الممزوج بالمرارة بعد ثقب يديه ورجليه مباشرة، لأنه كان يحتوي على مخدر للآلام (متى ٢٧: ٣٤). لكن بعدما أكمل العمل، وبعدما رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ (يوحنا ١٩: ٢٨)، أمكنه التعبير عن مشاعره ورغباته البشرية. وقد فعل ذلك لهدف معيَّن، ألا وهو «لِكَيْ يَتِمَّ ٱلْكِتَابُ»، أي لكي تتحقق كل النبوات المسيانية في حياته وموته.

«قَدْ أُكْمِلَ»

«فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ ٱلْخَلَّ قَالَ: قَدْ أُكْمِلَ» (يوحنا ١٩: ٣٠). كان عمل الفداء العظيم قد اكتمل، وتمَّ الكتاب. وعندئذ، نكس يسوع رأسه، وأسلم روحه بين يدي أبيه. كان هذا تسليمًا حرًّا وإراديًّا منه لروحه إلى الموت (يوحنا ١٠: ١٧-١٨). فإن له السلطان أن يضع نفسه.

«يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ»

بينما كان يسوع يضع نفسه، كان لا يزال، بحسب إنجيل لوقا، قادرًا أن يصرخ بصوت عظيم، قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لوقا ٢٣: ٤٦). كانت هذه هي العبارة السابعة التي نطق بها الرب وهو على الصليب. ولما قال هذا، مات. ومن ثَمَّ، نلاحظ أن أول أقوال الرب من فوق الصليب وآخرها بدأت بالكلمة الحميمية «يَا أَبَتَاهُ». والشخص الذي كان يتكلم هنا هو نفسه الذي أكمل كل شيء، والذي فيه نجد كل خلاصنا

اتباع خطواته

عند موت استفانوس الشهيد، تمثَّل بالرب يسوع، وعكست كلماته كلًّا من القول الأول والأخير اللذين نطق بهما يسوع من فوق الصليب، اللذان يتعلقان بالغفران والإيداع ويا للفرح الذي تمتع به استفانوس بالروح القدس حين قال: «هَا أَنَا أَنْظُرُ ٱلسَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَٱبْنَ ٱلإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ ٱللهِ». ثم قال أيضًا: «أَيُّهَا ٱلرَّبُّ يَسُوعُ، ٱقْبَلْ رُوحِي. وعندما جثا على ركبتيه قال: يَا رَبُّ، لا تُقِمْ لَهُمْ هَذِهِ ٱلْخَطِيَّةَ» فقد أسلم روحه بين يدي الرب يسوع الممجَّد، الذي كان قائمًا عن يمين الله كي يستقبله في محضره الإلهي.

ليت كلماتنا الأخيرة نحن أيضًا تمجِّد ربَّنا. ويا لشدة الفرح الذي ينتظرنا!

كلمات حسنة

من فم رجل شرير جدًا

إن الكلمات الأخيرة لأي شخص على وشك الموت تمثِّل أهمية، ولا سيما عندما تكون تلك الكلمات مسجَّلة في الكتاب المقدس. ولذلك، علينا أن ننتبه جيدًا إلى تلك الكلمات، لا أن نتجاوب معها قائلين: «من يكترث بذلك؟ أو مَاذَا عَلَيْنَا؟ ["ما علاقة هذا بنا؟"]» (متى ٢٧: ٤). أدلى البعض بهذا التعليق بعد سماعهم الكلمات الحسنة الأخيرة من فم رجل شرير للغاية!

إن كل الكتاب المقدس يحمل قيمة ثمينة، ولذلك علينا أن نفحص كل تفاصيل ما هو مذكور فيه - أي "من، ومتى، وماذا، ولماذا، وكيف؟". ثم يجب أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي: "ما التطبيق العملي لذلك على حياتنا، أو ما الحكمة التي يقدِّمها لنا؟" بوضع ذلك في الاعتبار، دعونا نلقي نظرة على بعض الأحداث المتعلِّقة بتلميذ معين، والتي وقعت قبل صلب الرب يسوع المسيح مباشرة.

مَن: تلك الكلمات الأخيرة، التي أثارت الردَّ الغريب المذكور أعلاه، جاءت على لسان يهوذا الإسخريوطي، وهو أشهر شرير في الكتاب المقدس. كان هذا

هو الرجل الوحيد الذي قال عنه الرب يسوع: «كَانَ خَيْرًا لِذَلِكَ ٱلرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ» (متى ٢٦: ٢٤).

هذا الرد على كلمات يهوذا - «مَاذَا عَلَيْنَا؟» [ما علاقة هذا بنا؟] - صدر عن رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود، المتبلدي المشاعر (متى ٢٧: ٣)، والذين لم يشعروا بأي تأنيب للضمير بشأن فعلة يهوذا أو فعلتهم.

متى؟: بحسب هو مدوَّن في الكتاب المقدس، قال يهوذا هذه الكلمات الأخيرة بعدما سمع أن الشخص الذي أسلمه قد حُكِم عليه بالموت (متى ٢٧: ٣)

ماذا؟: كانت هذه الكلمات الحسنة الأخيرة التي صدرت عن هذا الرجل الشرير هي «قَدْ أَخْطَأْتُ» (متى ٢٧: ٤)، ثم أضاف إلى هذه الكلمات، في الآية نفسها، اعترافًا بجرمه المحدَّد، قائلاً: «سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا».

لماذا؟: علم يهوذا أنه قد حُكِم على الرب يسوع بالموت من قبل المحكمة اليهودية التي عُقِدت بطريقة غير قانونية. و قد اعترف بخطيته لأنه "نَدِمَ" (متى ٢٧: ٣)، إذ رأى الضرر الذي تسبَّبت فيه فعلته.

كيف؟: ربما يراودنا السؤال التالي: "كيف يمكن أن تكون تلك الكلمات الأخيرة من اعتراف بالخطية قد جاءت على فم رجل مضى بعد ذلك وشنق نفسه (متى ٢٧: ٥)، فحُكِم عليه في الحال بالذهاب إلى الجحيم؟ وإن كلمات الرب القائلة «كَانَ خَيْرًا لِذَلِكَ ٱلرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ» (متى ٢٦: ٢٤)، وكذلك وصفه ليهوذا بأنه «ٱبْنُ ٱلْهَلَاكِ» (يوحنا ١٧: ١٢)، أي "شخص محكوم عليه بالجحيم"، تؤكِّد دينونته.

ربما يراودنا سؤال آخر: "أليس الاعتراف بالخطية والتوبة هما وسيلة الخلاص؟" ريك بورتر (Rick Porter)، وهو راعٍ لخدمة Truckers Chapel، قدَّم إجابة

جيدة عن هذه التساؤلات (وقد أجريت بعض التعديلات عليها للتوضيح)، كالتالي:

يصف الكتاب المقدس يهوذا في يوحنا ١٧: ١٢ بأنه «ٱبْنُ ٱلْهَلَاكِ»، بمعنى أنه محكوم عليه بالهلاك. كان يسوع يعلم أنه سيتعرض للخيانة، وقد أعلن ذلك بالفعل، في حقيقة الأمر، لتلاميذه في العلية (متى ٢٦: ٢٠-٢٥). وفي نوع من الحسم قال يهوذا: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟» ["قطعًا، لستُ أنا هذا الرجل"، بحسب ترجمات أخرى]، فأجابه يسوع: «أَنْتَ قُلْتَ» ["أنت هو الفاعل"، بحسب ترجمات أخرى]. فإذا كان يهوذا ينوي أن يتوب ويطلب الغفران للخلاص، لكان هذا هو أنسب وقت. لكنه لم يفعل ذلك. ثم طلب منه يسوع أن يذهب ويفعل ما هو فاعله. ويقدِّم لنا يوحنا ١٣: ٢٦-٢٧ المزيد من التوضيح لهذا الأمر. فقد ذكر يوحنا أن الشيطان دخل يهوذا بعدما أخذ اللقمة من يد يسوع. ثم بعد ذلك تواصلت بقية أحداث تسليم المسيح. لكن بعدما شاهد يهوذا نتيجة ما فعله، حزن حزنًا مفرطًا إلى حد اليأس، وكان الحل من وجهة نظره هو الانتحار.

في المقابل، لاحظ ما فعله بطرس بعد إنكاره ليسوع، ذلك الإنكار الذي كان يسوع قد تنبأ به أيضًا قبل حدوثه (لوقا ٢٢: ٥٤-٦٢). فقد بكى بطرس بكاء مرًّا، إذ أدرك أن روحه كان نشيطًا، أما جسده فكان ضعيفًا، كما قال لهم يسوع (متى ٢٦: ٤١)

ما الفرق إذن بين التلميذين؟ فقد تاب بطرس وندم يهوذا. نستطيع أن نقول إن بطرس كان مؤمنًا مخلَّصًا، لكنه [أنكر الرب وهو] في

لحظة ضعف؛ في حين لم يكن يهوذا مؤمنًا مخلّصًا، أو مولودًا ثانيةً، وسلّم دما بريئًا.

واحدة من المشكلات الأخرى التي تَكمُن في اعتراف يهوذا هي أنه قد أدلي به أمام السلطات الدينية، وليس أمام الرب الذي أخطأ إليه. فعندما ارتكب داود الملك خطية الزنى، متبوعةً بخطية القتل، اعترف بخطيته أمام اللّه: «إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَٱلشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ» (مزمور ٥١: ٤). وبالتالي، فإن الاعتراف الحقيقي بالخطية، الذي يؤدي إلى نوال غفران من اللّه، لا بد أن يكون موجَّهًا إلى اللّه، وليس إلى إنسان.

تطبيقان عمليان

إن الاعتراف» قَدْ أَخْطَأْتُ» بالغ الأهمية، يجب على كل إنسان أن يدلي به. لكنه يجب ألا ينتج عن مجرد شعور بالندم، فقط بهدف إراحة الضمير، بل لا بد أن ينبع هذا الاعتراف من القلب! ثمة أهمية أيضًا أن يقرَّ المرء ويعترف بأنه خاطئ بالطبيعة وبالوراثة، بسبب خطية آدم الأصلية (رومية ٥: ١٢). ولن يكون الاعتراف حقيقيًّا إلا من خلال توبة حقيقية، تنطوي على تحوُّل عن الخطية، والتوقف عن كل الممارسات الشريرة، واختبار تغيير جوهري من الشر إلى الخير، أو «مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ» (أعمال الرسل ٢٦: ١٨). فإنها عملية إصلاح شاملة للحياة، أي حياة جديدة لا يمكن الحصول عليها بالإرادة الذاتية، أو عن طريق بذل الجهد، بل فقط بعمل اللّه (أفسس ٢: ١-٥).

لنتناول تطبيقًا عمليًّا آخر. إن الاعتراف بالخطايا هو أمر يجب على المؤمن أيضًا أن يمارسه. ليس بإمكان أي خطية أن تتسبب في فقدان مؤمن حقيقي لخلاصه، لكن كل خطية تحزن الروح القدس، وتعطل الشركة مع الرب. لذلك، من الضروري أن نعترف بالخطايا، من أجل استعادة علاقتنا

الحميمية المكسورة مع المسيح. وهذا هو سبيل المؤمن لاستعادة الشركة مع الرب يسوع: «إِنِ ٱعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١يوحنا ١: ٩). لم يفقد بطرس خلاصه عندما أنكر ربَّه، لكن كان ينبغي معالجة إنكاره هذا، وهو ما حدث على الأرجح خلال لقائه الأول بالمسيح القائم من بين الأموات (لوقا ٢٤: ٣٤). لم يخبرنا الكتاب المقدس بفحوى هذا اللقاء، لأنه كان أمرًا خاصًّا بين بطرس والرب فقط.

أمور يجب أخذها في الاعتبار

إذا حدث ونطقتَ بتلك الكلمات الحسنة الأخيرة نفسها التي صدرت عن يهوذا، ذلك الرجل الشرير للغاية، الذي لم يشعر سوى ببعض الندم، واعترف بخطية واحدة فحسب، فإنك لن تخلص. تعال إلى الرب بتوبة حقيقية واعتراف حقيقي، قابلاً عطية الخلاص بالإيمان، وستخلص اليوم! «هُوَذَا ٱلْآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا ٱلْآنَ يَوْمُ خَلَاصٍ» (٢كورنثوس ٦: ٢). فمع أنه لا توجد صلاة اعتراف وتوبة محدَّدة، يمكن للمرء أن يصلي قائلاً: "أيها الرب يسوع، إنني أعترف بخطيتي وعجزي. أنت قد متَّ لأجلي حتى أنال العفو من عقوبة خطاياي. من فضلك طهرني، واجعلني قادرًا على أن أعيش حياة ترضيك. إنني أؤمن بك، وأشكرك لأنك خلَّصتني".

أما بالنسبة للمؤمن، فإنني أناشدك بأن تصفي حساباتك أولاً بأول مع المخلِّص. اسعَ إلى أن تسترد شركتك معه ما أن تدرك أنك أخطأت، وذلك من خلال اعتراف حقيقي، صادر عن قلب منسحق وحزين؛ وهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم..

«وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي ...»

كلمات يشوع الأخيرة

العديد من البيوت المسيحية تعلِّق على حائطها لوحات مكتوب عليها الآية التالية: «وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ ٱلرَّبَّ» (يشوع ٢٤: ١٥). لكن تلك اللوحات إنما تقتبس فقط جزءًا من الآية. لكن السياق الأكبر لهذا الجزء يتضمن خطاب وداع يشوع لإسرائيل، وكلماته الأخيرة الفعلية لهم.

جذب يشوع انتباه شعب إسرائيل بسبب شهادته، وقيادته، وأمانته، وخبراته. فقد كان خادمًا لموسى. وفي وقت ما من شبابه، لم يبرح من داخل خيمة الاجتماع (خروج ٣٣: ١١). وقد ظل يشوع يعبد الرب ويخدمه حتى شاخ وتقدَّم في الأيام. «وَكَانَ غِبَّ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ، بَعْدَمَا أَرَاحَ ٱلرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ حَوَالَيْهِمْ، أَنَّ يَشُوعَ شَاخَ. تَقَدَّمَ فِي ٱلْأَيَّامِ» (يشوع ٢٣: ١)

وفي تلك المرحلة من حياة يشوع، جمع شعب إسرائيل ليتحدَّث إليهم قبل موته. وقد عبَّر في يشوع ٢٤ عن أربع أفكار عميقة، ولاقى استجابة جيدة من شعب إسرائيل. فإنه:

١. قدَّم ملخصًا مباركًا عن أمانة الله من نحوهم كأمة، منذ بداياتهم وحتى نهاية حياة يشوع.

٢. أوصاهم بأن يعبدوا الرب في ثبات، دون السقوط في عبادة الأوثان.

٣. أكَّد التزامه الشخصي هو وأهل بيته بأن يعبدوا الرب.

٤. تحدَّاهم وواجههم قداسة الله وعجزهم عن عبادته دون تكريس حقيقي نابع من القلب والضمير.

هذا الخطاب القوي والمؤثر، الصادر عن قائد إسرائيل الممتلئ من الروح القدس، دفع الشعب إلى أن يجدِّدوا عهدهم مع الله.

وبما أننا دائمًا ما نتذكر الكلمات الأخيرة التي تأتي على لسان أي شخص يحتضر، فإننا سنفعل حسنًا إذا تذكَّرنا كلمات يشوع الأخيرة، وطبَّقنا تلك الدروس على حياتنا المسيحية.

الملخص المبارك عن أمانة الله

قدَّم يشوع ٢٤: ١-١٣ ملخصًا واضحًا وقويًّا عن أمانة الله تجاه شعب إسرائيل. بدأ يشوع حديثه بحقيقة أن تارح، والد إبراهيم، كان عابد أوثان (يشوع ٢٤: ٢). ومع ذلك، دعا الله أبرام، الذي صار أبًا لشعبه الأرضي، إسرائيل. وقد ذُكِر الآباء هنا لأن الله وعد إبراهيم بنسلٍ سوف يرث أرض الموعد.

ثم سلط يشوع الضوء على أمانة الله اتي تمثَّلت في إخراج إسرائيل من العبودية في أرض مصر. فقد عبَّرهم البحر الأحمر، وأغرق المصريين الذين كانوا يطاردونهم. ثم أعطاهم أرض الأموريين. كذلك، حفظ الله الشعب من لعنة بلعام، محوِّلاً إياها إلى بركة. كما أعطاهم نصرة على أريحا، والأمم الست الأخرى الساكنين في الأرض. لا شك أن هذا التاريخ كان

معروفًا، لكنَّ يشوع ركَّز فيه على أمانة اللّه وقوته، لأن كل تلك الأحداث التي أشار إليها كانت معجزية! فإن الجيل الذي أدخله يشوع إلى أرض الموعد بنعمة اللّه كان قد سمع بتلك الأحداث المجيدة، أما يشوع فقد اختبرها بنفسه. وقد كان اختبار قدرة اللّه المذهلة التي تمثلت في دعوته شعبًا لنفسه، وحفظهم، والإتيان بهم إلى أرض الموعد، هو الدافع الأول لوجوب عبادة الشعب له.

يظل اللّه أمينًا مع شعبه إلى يومنا هذا. ويستطيع أي أخ أو أخت في الرب أن يشهد عن أمانة اللّه، دون أن تكون تلك بالضرورة هي كلماته الأخيرة. لكننا نستطيع أن نشهد، نظير يشوع، عن كلِّ ما هو لنا في المسيح: الخلاص (يوحنا ٣: ١٦)، والفداء (١بطرس ١: ١٨-١٩)، والتبرير (رومية ٥: ١)، والتقديس (١كورنثوس ١: ٢)، والحياة الأبدية (١يوحنا ٥: ١٣)، وكهنوت جميع المؤمنين (١بطرس ٢: ٥-٩)، وإتيانه بنا إلى محضره إلى الأبد (١تسالونيكي ٤: ١٣-١٨)، وذلك فقط على سبيل المثال لا الحصر.

علاوة على ذلك، يمكن للمؤمن أن يشهد عن أمانة اللّه من نجوه على المستوى الشخصي. فإن تلك الاختبارات، عند مشاركتها مع آخرين، تصير مصدر تشجيع للمؤمنين الذين يسمعونها، إذ تحفزهم على أن يكملوا مسيرتهم مع المسيح. لذلك، تعتبر هذه الاختبارات بمثابة دعوة حاشدة، تمامًا مثلما حشد يشوع شعب إسرائيل ليشهد لهم عن طرق اللّه العجيبة. فإن هذا الإله العجيب نفسه هو الذي حفظ الكنيسة لما يقرب من ٢٠٠٠ سنة. ولذلك، فإننا نحصل على دعم وتشديد من خلال التأمل في من هو اللّه، وما فعله لأجلنا في المسيح.

ثم أعطى يشوع الشعب تكليفًا مباشرًا في يشوع ٢٤: ١٤. كان هذا التكليف بالغ الأهمية: «فَٱلآنَ ٱخْشَوْا ٱلرَّبَّ وَٱعْبُدُوهُ بِكَمَالٍ وَأَمَانَةٍ، وَٱنْزِعُوا ٱلآلِهَةَ ٱلَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمْ فِي عَبْرِ ٱلنَّهْرِ وَفِي مِصْرَ، وَٱعْبُدُوا ٱلرَّبَّ».

هذا التكليف يتضمن بعض العناصر بالغة الأهمية، مع أنه عبارة عن وصية واحدة أو توجيه واحد. «فَالآنَ» - أي بناء على كل أمانة اللّه، ومحبته، وقدرته المعجزية - وقِّروا ٱلرَّبَّ، واعبدوه من قلب صادق وطاهر. اعبدوه بحسب الحق، الذي كان في ذلك الوقت هو حق اللّه الذي أُعطي لأمة إسرائيل في صورة الناموس. فعلى ما يبدو، كان البعض قد انزلقوا مرة أخرى إلى عبادة الأوثان. ولذلك، كان على الشعب أن ينزعوا تلك الآلهة الزائفة، ويعبدوا الرب وحده.

نوصى نحن المؤمنون أيضًا بأن نعبد الرب. أما "فَالآنَ" (الفاء) الخاصة بنا، فهي قائمة على كل ما فعله المسيح، وعلى كل ما لنا فيه. علينا إذن أن نعبد الرب بفرح. وسيحفظنا تقديرنا له من كل الأوثان. فإن لدينا الكثير جدًا الذي يجب أن نكون شاكرين عليه!

قطعًا، كان القديسون في تسالونيكي يدركون معنى العيش للرب وحده. فقد عاشوا حياة يُقتدَى بها: «لأَنَّهُمْ هُمْ يُخْبِرُونَ عَنَّا، أَيُّ دُخُولٍ كَانَ لَنَا إِلَيْكُمْ، وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلأَوْثَانِ، لِتَعْبُدُوا ٱللهَ ٱلْحَيَّ ٱلْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ٱبْنَهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ، ٱلَّذِي أَقَامَهُ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، ٱلَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ ٱلْغَضَبِ ٱلآتِي» (١تسالونيكي ١: ٩-١٠). أشير في هذه الآيات إلى ماضي هؤلاء المؤمنين، وحاضرهم، ومستقبلهم. فقد كانت الأصنام الآن وراءهم، وكانوا منهمكين في الحاضر كمؤمنين في العبادة بفرح؛ كذلك، كانوا

يتحلُّون بالرجاء المبارك في مجيء الرب ثانية (انظر تيطس ٢: ١٣). وينبغي أن نعيش نحن أيضًا على غرار أهل تسالونيكي تمامًا.

تدريب يشوع الشخصي

كانت حياة يشوع بأكملها حياة عبادة. فإنه قد عاش بالفعل الوصية التي أعطاها لبني إسرائيل: «وَإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا ٱلرَّبَّ، فَٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمُ ٱلْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ: إِنْ كَانَ ٱلآلِهَةَ ٱلَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمُ ٱلَّذِينَ فِي عَبْرِ ٱلنَّهْرِ، وَإِنْ كَانَ آلِهَةَ ٱلأَمُورِيِّينَ ٱلَّذِينَ أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِهِمْ. وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ ٱلرَّبَّ» (يشوع ٢٤: ١٥). فمع أن هذا الخادم الشيخ كان يلقي خطابه الأخير، قال عن نفسه وعن أهل بيته إنهم يعبدون الرب باستمرار. لا يذكر لنا الكتاب المقدس الكثير عن عائلة يشوع، لكننا نعرف أنهم كانوا عابدين مكرَّسين نظير يشوع. فقد عبد يشوع الرب طوال سني حياته التي بلغت ١١٠ سنة (يشوع ٢٤: ٢٩). وفي حقيقة الأمر، حفظ يشوع هذه الوصية، وكان قدوة للشعب.

إن الكلمات الأخيرة لأب تقي متقدم في العمر، أو قديس وخادم متفرغ للرب، تمجِّد الله، وتفيض بالبركة على سامعيه، فقط إذا كانت حياته متوافقة مع كلامه، وإذا كانت تجسِّده بالفعل. لا يوجد مؤمن كامل، بل إن الشخص الكامل الوحيد هو ربنا المبارك ومخلصنا يسوع المسيح. فهو الشخص الذي مجد الله على الأرض، وأكمل العمل الذي أعطاه الله إياه ليعمله (يوحنا ١٧: ٤). لكنَّ عيش الإنسان حياة مسيحية متسقة هو أمر بالغ الأهمية.

استطاع الرسول بولس أن يستند بسهولة إلى حياته بصفتها شهادة لتيموثاوس، قائلاً له: «وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَبِعْتَ تَعْلِيمِي، وَسِيرَتِي، وَقَصْدِي، وَإِيمَانِي، وَأَنَاتِي، وَمَحَبَّتِي، وَصَبْرِي، وَٱضْطِهَادَاتِي، وَآلامِي، مِثْلَ مَا أَصَابَنِي فِي

أَنْطَاكِيَـةَ وَإِيقُونِيَّـةَ وَلِسْـتِرَةَ. أَيَّـةَ ٱضْـطِهَادَاتٍ ٱحْتَمَلْـتُ! وَمِـنَ ٱلْجَمِيـعِ أَنْقَـذَنِي ٱلـرَّبُّ» (٢تيموثـاوس ٣: ١٠-١١). فـإن الحيـاة "المعاشـة" لأحـدهم مسـاويةٌ في الأهميـة، بـل وربمـا تفـوق في الأهميـة أيضًـا، كلماتـه الأخـيرة. فقـد كانـت شـهادة يشـوع الحياتيـة واضـحة. كـذلك، كانـت شـهادة بـولس الحياتيـة واضـحة لتيموثـاوس والآخـرين. فهـل ستتماشـى حياتنـا المسـيحية مـع كلماتنا الأخيرة إذا سمح الرب لنا برحيلٍ كهذا عن العالم؟

استجابة شعب إسرائيل وتحدِّي يشوع لهم

كانـت اسـتجابة شـعب إسـرائيل لكلمـات يشـوع إيجابيـةً إلى حـد كبـير. فقـد تجـاوب بنـو إسـرائيل في امتنـان، مـردِّدين في إيجـاز، كمـا جـاء في يشـوع ٢٤: ١٦-١٨، الملخَّـص الـذي قدَّمـه يشـوع. فقـد تـأثَّرت قلـوبهم بهـذا الكـلام. كـذلك، عنـدما يتأمـل شـعب اللّه في أمانـة اللّه وقدرتـه الكليـة، يصـير كـل مـا بوسـعهم فعلـه هو الاستجابة في عبادة وإجلال.

ثم أعـاد شـعب إسـرائيل تكـريس أنفسـهم للّه مـن جديـد. لكـنَّ يشـوع أراد أكثـر مـن ذلـك. فقـد أراد أن يتأكـد مـن صـدق تكريسـهم، ولـذلك امـتحن ضـمائرهم: «فَقَـالَ يَشُـوعُ لِلشَّـعْبِ: لا تَقْـدِرُونَ أَنْ تَعْبُـدُوا ٱلـرَّبَّ لأَنَّـهُ إِلَـهٌ قُـدُّوسٌ وَإِلَـهٌ غَيُـورٌ هُـوَ. لا يَغْفِـرُ ذُنُـوبَكُمْ وَخَطَايَـاكُمْ. وَإِذَا تَـرَكْتُمُ ٱلـرَّبَّ وَعَبَـدْتُمْ آلِهَـةً غَرِيبَـةً يَرْجِـعُ فَيُسِـيءُ إِلَـيْكُمْ وَيُفْنِـيكُمْ بَعْـدَ أَنْ أَحْسَـنَ إِلَـيْكُمْ» (يشـوع ٢٤: ١٩-٢٠). وإذ مـسَّ هـذا الكـلام ضـمائر شـعب إسـرائيل، أصـرُّوا علـى أن يعبـدوا الـرب. وبالتـالي، جـدَّد يشـوع العهـد معهـم وصـرفهم إلى بيـوتهم (يشـوع ٢٤: ٢٤-٢٨)

ومـع أن يشـوع كـان يخاطـب قلـوب الشـعب بهـذه الكلماتـه، اسـتخدم أشـياء ملموسـة (يشـوع ٢٤: ٢٥-٢٦):

- حدث ذلك في "شَكِيمَ"

• كتب يشوع هذا الكلام في "سِفْرِ شَرِيعَةِ ٱللّهِ"

• أخذ يشوع "حَجَرًا كَبِيرًا"، ونصبه "تَحْتَ ٱلْبَلُّوطَةِ ٱلَّتِي عِنْدَ مَقْدِسِ ٱلرَّبِّ"

وبالمثل، عادة ما تكون كلمات المؤمنين الأخيرة ملموسةً: اقرأوا كلمة الله بشكل يومي، وصلُّوا بلا انقطاع، واجتمعوا مع شعب الرب، وعيشوا بقوة الروح القدس، ونقُّوا قلوبكم أولاً بأول، ومارسوا المواهب التي أُعطِيت لكم، واعبدوا الرب بفرح، وانتظروا في توقٍ مجيء الرب الوشيك ثانية. ليتنا نمجِّد ربَّنا ومخلصنا يسوع المسيح بتلك الطرق الروحية الملموسة.

الخاتمة

أُسَرُّ حقًّا عندما أرى تلك اللوحات المكتوب عليها: «أَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ ٱلرَّبَّ» في بيوت المؤمنين. فهي جزء بسيط، لكن أساسي في الوقت نفسه، من كلمات يشوع الأخيرة. لكن حياة يشوع فاقت كثيرًا تلك العبارة. فقد كان خادمًا مكرَّسًا للرب. وكان خادم موسى، ثم صار قائد إسرائيل، الذي قادهم إلى داخل أرض الموعد. كذلك، كان قائدًا حربيًّا، قسم الأرض على أسباط إسرائيل بحسب تعليمات الله. وكان محاربًا في الصلاة. لكنه، مثله مثل أي إنسان، أخفق في التعامل مع الجبعونيين. لكن بوجه عام، كان يشوع قدوة لشعب إسرائيل.

وقد تركت كلمات يشوع الأخيرة لشعب إسرائيل صدى في قلوبهم، وأحدثت فرقًا في حياتهم. ليت حياتنا نحن أيضًا تمجد الله، وتحدث فرقًا في حياة المؤمنين الآخرين. فعلى حياتنا أن تكون شهادة لغير المؤمنين. وإذا أتاح لنا الله الفرصة لنلقي كلماتنا الأخيرة في نهاية خدمتنا على الأرض، ليت هذه الكلمات تُحدِث تأثيرًا كبيرًا على حياة المؤمنين، مثلما فعلت كلمات يشوع الأخيرة مع شعب إسرائيل!

الكلمات الأخيرة

لشخصيات الكتاب المقدس

إن الكلمات الأخيرة لأحدهم دائمًا ما تكون مثيرة للاهتمام، ولا سيما عندما تصدر عن شخص يحتضر من أحبائنا. فإننا نتمسَّك دائمًا بكل كلمة يقولها هذا الشخص.

وإن الكلمات الأخيرة التي نطق بها خدام الرب البارزون الذين رحلوا عن هذه الأرض تحمل بعدين، البعد الروحي والبعد الأخلاقي. وبموجب ذلك، تُذكِّرنا الرسالة إلى العبرانيين قائلة: «اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ ٱلَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ ٱللهِ. ٱنْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ» (عبرانيين ١٣: ٧). فالإيمان والسلوك لا ينفصل أحدهما عن الآخر، كما أشار الرسول بولس عندما قال لتيموثاوس: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَبِعْتَ تَعْلِيمِي، وَسِيرَتِي، وَقَصْدِي، وَإِيمَانِي، وَأَنَاتِي، وَمَحَبَّتِي، وَصَبْرِي، وَٱضْطِهَادَاتِي، وَآلَامِي» (٢تيموثاوس ٣: ١٠-١١).

وفيما يلي ملخص للكلمات الأخيرة الثمينة التي نطق بها أربعة من خدام الرب، والتي ورد ذكرها في الكتاب المقدس. ومن المثير للذهول أنه بغض النظر عن التدبير، أو الفترة الزمنية التي عاش فيها هؤلاء، تحدث جميعهم عن الأمور نفسها!

موسى

«فَذَهَبَ مُوسَى وَكَلَّمَ بِهَذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمْ: أَنَا ٱلْيَوْمَ ٱبْنُ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. لا أَسْتَطِيعُ ٱلْخُرُوجَ وَٱلدُّخُولَ بَعْدُ، وَٱلرَّبُّ قَدْ قَالَ لِي: لا تَعْبُرُ هَذَا ٱلأَرْدُنَ» (تثنية ٣١: ١-٢)

نجد بعض النقاط البارزة من كلمات موسى الأخيرة لشعب إسرائيل في تثنية ٣١-٣٤. فقد أخبر الشعب بأنه رغم عدم تمكُّنه من عبور نهر الأردن معهم، فإن «ٱلرَّبُّ إِلَهُكَ هُوَ عَابِرٌ قُدَّامَكَ ... تَشَدَّدُوا وَتَشَجَّعُوا. لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْهَبُوا وُجُوهَهُمْ ... [هو] لَا يُهْمِلُكَ وَلَا يَتْرُكُكَ» (تثنية ٣١: ٣، ٦). لم يُظهِر موسى أيَّ غيرة تجاه يشوع، بل كان راضيًا بأن يقود يشوع الشعب إلى أرض الموعد.

وبعدما أعطى موسى وصيته ليشوع ، تحدَّث إلى الكهنة وجميع شيوخ إسرائيل، وأوصاهم بأن يقرأوا الشريعة أمام جميع شعب إسرائيل - رجالًا ونساءً وأطفالاً - بالإضافة إلى الغرباء أيضًا، وذلك حتى يسمعوا كلام الرب، ويتَّقوه. كذلك، أوصاهم بأن يعلِّموها لأولادهم الذين لم يعرفوها، حتى يسمعوها هم أيضًا، ويتعلَّموا أن يتقوا الرب (تثنية ٣١: ١٣). وهذه نصيحة جيدة على الآباء أن يعملوا بها!

ثم تحدث موسى عن عظمة الله، وطبيعته الأخلاقية، وذكَّرهم بأمانته، وأوصاهم قائلاً: «اُذْكُرْ أَيَّامَ ٱلْقِدَمِ" (تثنية ٣٢: ٧). عندما وَجَدَهُ [الله] فِي أَرْضِ قَفْرٍ، وَفِي خَلاءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ. كَمَا يُحَرِّكُ ٱلنَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ. هَكَذَا ٱلرَّبُّ وَحْدَهُ ٱقْتَادَهُ» (تثنية ٣٢: ١٠-١٢)

كذلك، تنبأ موسى بخيانة الشعب: «أَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ ٱلطَّرِيقِ ٱلَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ» (تثنية ٣١: ٢٩). لكنه ناشدهم بكل أمانة قائلًا: «وَجِّهُوا قُلُوبَكُمْ إِلَى جَمِيعِ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلَّتِي أَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِهَا ٱلْيَوْمَ، لِكَيْ تُوصُوا بِهَا أَوْلادَكُمْ، لِيَحْرِصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ ٱلتَّوْرَاةِ. لأَنَّهَا لَيْسَتْ أَمْرًا

بَاطِلًا عَلَيْكُمْ. بَلْ هِيَ حَيَاتُكُمْ. وَبِهَذَا ٱلْأَمْرِ تُطِيلُونَ ٱلْأَيَّامَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ ٱلْأُرْدُنَّ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا» (تثنية ٣٢: ٤٦-٤٧). ونلاحظ أن سفر التثنية يركز بشكل كبير على طاعة الشعب للناموس، التي ستكون سبب بركة لهم.

وأخيرًا، بارك موسى الشعب، واختتم كلماته الأخيرة قائلًا: «طُوبَاكَ يَا إِسْرَائِيلُ! مَنْ مِثْلُكَ يَا شَعْبًا مَنْصُورًا بِٱلرَّبِّ» (تثنية ٣٣: ٢٩).

يشوع

«وَكَانَ غِبَّ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ ... أَنَّ يَشُوعَ شَاخَ. تَقَدَّمَ فِي ٱلْأَيَّامِ. فَدَعَا يَشُوعُ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ وَشُيُوخَهُ وَرُؤَسَاءَهُ وَقُضَاتَهُ وَعُرَفَاءَهُ وَقَالَ لَهُمْ: ... هَا أَنَا ٱلْيَوْمَ ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا. وَتَعْلَمُونَ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ وَكُلِّ أَنْفُسِكُمْ أَنَّهُ لَمْ تَسْقُطْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ جَمِيعِ ٱلْكَلَامِ ٱلصَّالِحِ ٱلَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ ٱلرَّبُّ عَنْكُمْ. ٱلْكُلُّ صَارَ لَكُمْ. لَمْ تَسْقُطْ مِنْهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ» (يشوع ٢٣: ١-٢، ١٤)

ذكَّر يشوع الشعب بأمانة الله. وفي ضوء ذلك، أوصاهم قائلاً: «تَشَدَّدُوا جِدًّا لِتَحْفَظُوا وَتَعْمَلُوا كُلَّ ٱلْمَكْتُوبِ فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى حَتَّى لا تَحِيدُوا عَنْهَا يَمِينًا أَوْ شِمَالًا» (يشوع ٢٣: ٦). فإن المساومة هي سمة عصرنا الحالي، أي الأيام الأخيرة للكنيسة الاسمية. لكنَّ المؤمنين هم الذين يثبتون راسخين على تعليم الرسل. فقد حثَّ يشوع الشعب قائلاً: «ٱلْصَقُوا بِٱلرَّبِّ إِلَهِكُمْ» (يشوع ٢٣: ٨). كلمة "ٱلْصَقُوا" (أو "تمسَّكوا") هي كلمة مرتبطة أيضًا بالأيام الأخيرة، لأن الرب استخدمها أيضًا لتشجيع البقية من المؤمنين في ثياتيرا، وساردس، وفيلادلفيا (رؤيا ٢-٣).

كان على شعب إسرائيل أن "يحبُّوا ٱلرَّبَّ إِلَهَهُمْ" (يشوع ٢٣: ١١). فإننا إذا كنا نحب الرب، فسوف «نَحْفَظُ وَصَايَاهُ، وَنَعْمَلُ ٱلْأَعْمَالَ ٱلْمَرْضِيَّةَ أَمَامَهُ» (١يوحنا ٣: ٢٢). علينا إذن أن نفحص قلوبنا، ولا سيما عندما نتذكر كلام الرب إلى كنيسة أفسس: «لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ ٱلْأُولَى» (رؤيا ٢: ٤)

علاوة على ذلك، حذر يشوع الشعب من الاختلاط بالأمم عبدة الأوثان، أو عقد تحالفات معها، لأن الرب سيؤدِّبهم على ذلك. كذلك، نوصَى نحن أيضًا بألا نكون «تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ ٱلْمُؤْمِنِين» (٢كورنثوس ٦: ١٤). لكننا بالأحرى دُعينا من العالم، لنكون شعبًا له دعوة سماوية ومقدَّسة (عبرانيين ٣: ١؛ ١بطرس ١: ١٥).

ذكَّر يشوع شعب إسرائيل أيضًا بأنهم شعب مفدي: «فَأَخْرَجْتُ آبَاءَكُمْ مِنْ مِصْرَ" (يشوع ٢٤: ٦). "ثُمَّ أَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى أَرْضِ ٱلأَمُورِيِّينَ» (يشوع ٢٤: ٨). فإن سجل طرق وتعاملات اللّه مع هذه الأمة يعكس أيضًا طرقه وتعاملاته معنا اليوم بالنعمة. فإننا قد افتدينا بدم المسيح الثمين، وبورِكنا «بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ فِي ٱلْمَسِيحِ» (أفسس ١: ٣).

وفي ضوء ما عمله اللّه لأجل الشعب، كان عليهم أن «يخشوا ٱلرَّبَّ ويعْبُدُوهُ بِكَمَالٍ وَأَمَانَةٍ» (يشوع ٢٤: ١٤). وكان عليهم أيضًا أن يختاروا لأنفسهم مَن يعبدون. ثم قال يشوع: «وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ ٱلرَّبَّ» (يشوع ٢٤: ١٥). وكانت كلمات يشوع الأخيرة لهم هي: «فَٱلْآنَ ٱنْزِعُوا ٱلْآلِهَةَ ٱلْغَرِيبَةَ ٱلَّتِي فِي وَسَطِكُمْ وَأَمِيلُوا قُلُوبَكُمْ إِلَى ٱلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ» (يشوع ٢٤: ٢٣). فهل لدينا نحن أيضًا ما يجب أن ننزعه؟

بولس

«وَٱلآنَ هَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَرَوْنَ وَجْهِي أَيْضًا، أَنْتُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِينَ مَرَرْتُ بَيْنَكُمْ كَارِزًا بِمَلَكُوتِ ٱللّهِ» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٥)

«فَإِنِّي أَنَا ٱلآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ ٱنْحِلالِي قَدْ حَضَرَ» (٢تيموثاوس ٤: ٦).

مِنْ مِيلِيتُسَ، أَرْسَلَ [بولس] إِلَى أَفَسُسَ وَٱسْتَدْعَى قُسُوسَ ٱلْكَنِيسَةِ. فقد قضى هذا الخادم المضروب والمهان حياته في خدمة شعب اللّه. وفي ذلك الوقت، كانت حياته تقترب من نهايتها، لكنه لم يرد أن يرحل دون أن يلقي بعض كلمات الوداع على إخوته الأحباء. وقد تحدث في هذه الكلمات عن نمط حياته وسيرته، قائلاً: «أَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَخَلْتُ آسِيَّا، كَيْفَ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ ٱلزَّمَانِ ["كيف عشت بينكم طوال الوقت]» (أعمال الرسل ٢٠: ١٨). فقد خدم هذا الرسول الرب بكل تواضع، وبدموع كثيرة وتجارب قاسية. وذكَّرهم قائلاً: «لَمْ أُؤَخِّرْ شَيْئًا مِنَ ٱلْفَوَائِدِ إِلَّا وَأَخْبَرْتُكُمْ وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ جَهْرًا وَفِي كُلِّ بَيْتٍ» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٠). فهو لم يحسب نفسه ثمينة عنده، حتى، كما قال، «أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَٱلْخِدْمَةَ ٱلَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ ٱللهِ» (يشوع ٢٤: ٢٤).

ثم قال لهم بولس إنه «بَرِيءٌ مِنْ دَمِ ٱلْجَمِيعِ، لأَنِّي لَمْ أُؤَخِّرْ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِكُلِّ مَشُورَةِ ٱللهِ. اِحْتَرِزُوا إِذًا لِأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ ٱلرَّعِيَّةِ ٱلَّتِي أَقَامَكُمُ ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي ٱقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٦-٢٨). ثم حذَّرهم قائلاً: «سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ لا تُشْفِقُ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ. وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا ٱلتَّلامِيذَ وَرَاءَهُمْ. لِذَلِكَ ٱسْهَرُوا، مُتَذَكِّرِينَ أَنِّي ثَلاثَ سِنِينَ لَيْلاً وَنَهَارًا، لَمْ أَفْتُرْ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ بِدُمُوعٍ كُلَّ وَاحِدٍ» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٩-٣١). ثم بعد ذلك استودعهم «لِلهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ، ٱلْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا مَعَ جَمِيعِ ٱلْمُقَدَّسِينَ» (أعمال الرسل ٢٠: ٣٢). وحثهم على أن «[يعضدوا] ٱلضُّعَفَاءَ» (أعمال الرسل ٢٠: ٣٥). ثم جثا هذا الخادم المتضع «عَلَى رُكْبَتَيْهِ مَعَ جَمِيعِهِمْ وَصَلَّى» (أعمال الرسل ٢٠: ٣٦).

كذلك، في كلمات بولس الأخيرة لتيموثاوس، أوصاه بأن يطهر نفسه من آنية الهوان، ويهرب من «ٱلشَّهَوَاتُ ٱلشَّبَابِيَّةُ»، ويتبع بدلًا من ذلك ٱ«لْبِرَّ وَٱلإِيمَانَ وَٱلْمَحَبَّةَ وَٱلسَّلامَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ٱلرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ» (٢تيموثاوس ٢: ٢٢). ثم كتب إليه بولس يقول: «وَلَكِنِ ٱعْلَمْ هَذَا أَنَّهُ فِي ٱلأَيَّامِ ٱلأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ، لأَنَّ ٱلنَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ ... مُحِبِّينَ لِلَّذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةٍ لِلهِ، لَهُمْ صُورَةُ ٱلتَّقْوَى، وَلَكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ عَنْ هَؤُلاءِ ... وَأَمَّا أَنْتَ فَٱثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ» (٢تيموثاوس ٣: ١-٥، ١٤).

وفي كلمات هذا الرسول الأخيرة، حثَّ تيموثاوس أيضًا قائلاً: «ٱكْرِزْ بِٱلْكَلِمَةِ.... ٱصْحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (٢تيموثاوس ٤: ٢، ٥). كان موت بولس وشيكًا، وكان عالمًا بذلك: «فَإِنِّي أَنَا ٱلآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ ٱنْحِلالِي قَدْ حَضَرَ. قَدْ جَاهَدْتُ ٱلْجِهَادَ ٱلْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ ٱلسَّعْيَ، حَفِظْتُ ٱلإِيمَانَ» (٢تيموثاوس ٤: ٦-٨). حقًّا، إن كلماته الأخيرة هي مصدر تشجيع كبير لنا!

بطرس

«وَلَكِنِّي أَحْسِبُهُ حَقًّا - مَا دُمْتُ فِي هَذَا ٱلْمَسْكَنِ - أَنْ أُنْهِضَكُمْ بِٱلتَّذْكِرَةِ، عَالِمًا أَنَّ خَلْعَ مَسْكَنِي قَرِيبٌ، كَمَا أَعْلَنَ لِي رَبُّنَا يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ أَيْضًا» (٢بطرس ١: ١٣-١٤)

جاءت كلمات سمعان بطرس الأخيرة في رسالته الثانية. وفيها، أخبر المؤمنين من اليهود بأن الله قد وهب لهم «كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَٱلتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ ٱلَّذِي دَعَانَا بِٱلْمَجْدِ وَٱلْفَضِيلَةِ ... هَارِبِينَ مِنَ ٱلْفَسَادِ ٱلَّذِي فِي ٱلْعَالَمِ بِٱلشَّهْوَةِ» (٢بطرس ١: ٣-٤). وكان عليهم أن يبذلوا كلَّ اجتهاد، وأن يقدِّموا في إيمانهم فضيلة، «وَفِي ٱلْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي ٱلْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي ٱلتَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي ٱلصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي ٱلتَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي ٱلْمَوَدَّةِ ٱلأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً» (٢بطرس ١: ٥-٧). وإذا وُجدت فيهم هذه الأمور، سيصيرون «لا مُتَكَاسِلِينَ وَلا غَيْرَ مُثْمِرِينَ» (٢بطرس ١: ٨). لكن كيف لنا أن نستوفي تلك المعايير؟ كان عليهم أن يجتهدوا بالأكثر أن يجعلوا دعوتهم واختيارهم ثابتين (٢بطرس ١: ١٠). وقيامهم بذلك سيحميهم من الزلل. ثم قال لهم بطرس: «فَٱجْتَهِدُ أَيْضًا أَنْ تَكُونُوا بَعْدَ خُرُوجِي، تَتَذَكَّرُونَ كُلَّ حِينٍ بِهَذِهِ ٱلأُمُورِ» (٢بطرس ١: ١٥).

ثم قال بطرس لقرائه إنهم سيفعلون حسنًا إن انتبهوا إلى الكلمة النبوية، لأنها «سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ، [أي هذا العالم]، إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ ٱلنَّهَارُ، وَيَطْلَعَ كَوْكَبُ ٱلصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ» (٢بطرس ١: ١٩). كان بطرس يريد أن يملأ قلوبهم النور الأشد

سطوعًا لمجيء الرب ثانية. ثم حذر بطرس قراءه أيضًا في ٢بطرس ٣ من المعلِّمين الكذبة الذين سيكونون بينهم، الأمر نفسه الذي كتب عنه أخوه الحبيب بولس أيضًا (٢بطرس ٣: ١٥-١٦). وقال بطرس أيضًا: «سَيَأْتِي فِي آخِرِ ٱلأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟» (٢بطرس ٣: ٣-٤). فقد يبدو زمن الانتظار طويلاً. «لَكِنْ لا يَخْفَ عَلَيْكُمْ هَذَا ٱلشَّيْءُ ٱلْوَاحِدُ أَيُّهَا ٱلأَحِبَّاءُ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ ٱلرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. لا يَتَبَاطَأُ ٱلرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ ٱلتَّبَاطُؤَ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ ٱلْجَمِيعُ إِلَى ٱلتَّوْبَةِ» (٢بطرس ٣: ٨-٩).

فإن تأنّي الرب هو رحمةٌ للذين لم يخلصوا بعد. ليت الرب يثقل قلوبنا بهؤلاء! فبينما ننتظر مجيء الرب ثانيةً، يقول لنا بطرس، في جدية شديدة: «أَيَّ أُنَاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِي سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى؟ مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ ٱلرَّبِّ» (٢بطرس ٣: ١١-١٢). فإن كل شيء يتحرك متجهًا صوب «يَوْمِ ٱلرَّبِّ» المجيد هذا، الذي فيه ستظهر النتيجة الكاملة لعمل المصالحة الذي أتمّه الرب يسوع، وهي: «سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا ٱلْبِرُّ» (٢بطرس ٣: ١٣). ثم استطرد بطرس قائلاً: «لِذَلِكَ أَيُّهَا ٱلأَحِبَّاءُ، إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ هَذِهِ، ٱجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلا دَنَسٍ وَلا عَيْبٍ، فِي سَلَامٍ. وَٱحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاصًا» (٢بطرس ٣: ١٤-١٥). وأخيرًا، شجّع خادم الرب المخلص هذا إخوته الأحباء قائلاً: «ٱحْتَرِسُوا مِنْ أَنْ ... تَسْقُطُوا مِنْ ثَبَاتِكُمْ. وَلَكِنِ ٱنْمُوا فِي ٱلنِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ. لَهُ ٱلْمَجْدُ ٱلآنَ وَإِلَى يَوْمِ ٱلدَّهْرِ. آمِينَ» (٢بطرس ٣: ١٧-١٨). وكانت تلك هي النهاية المناسبة لكلمات بطرس الأخيرة.

غادر خدام الرب البارزون هؤلاء عالمنا منذ زمان طويل، لكن كلماتهم الأخيرة ظلّت محفوظة لنا في كلمة الله. ليتنا إذن ننتبه إليها!

العبارة الأخيرة

من فوق الصليب

«أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي!..... لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ».

كانت هذه العبارى الموجزة والصلاة المركزة «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي». هي آخر كلمات شهيد المسيحية الأول!! الشاب الممتلئ بالروح القدس استفانوس (أع ٧) وأعقبها بالقول» يارب لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» ويا لها من كلمات ختامية رائعة ختمت بها حياة مجيدة فائقة الروعة!

لقد شهد استفانوس ضد شر إسرائيل في تاريخهم القديم ضد الرب = ضد انبيائه وحتى صليب المسيح - فرجموه بالحجارة! لكنه إذ رأي السموات مفتوحة وابن الإنسان قائمًا عن يمين اللّه! فإنه في ذات الوقت تشبه بسيده الجليل «يارب لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ.... وَإِذْ قَالَ هذَا رَقَدَ» (أع٧: ٥٩، ٦٠) ويا لها من كلمات ختامية!

قارئي العزيز، يومًا ما سنغادر كلنا هذه الحياة؟ إما بالموت أو بمجيء المسيح الثاني الوشيك، فترى ماذا ستكون آخر أعمالنا؟ وما عسى أن تكون كلماتنا الأخيرة؟

إن روعة مشهد الختام لا تأتي صدفة، بل هي ملخصًا ونتيجة لمشاهد الحياة ذاتها، فليتك تتعرف على المسيح المخلص سريعًا ليمتلكك أن تحيا حياة أفضل وتختم رحلتك بأفضل ما يكون

حياة بولس

الفصل الثالث عشر

«أَيُّهَا الْفِيلِبِّيُّونَ» (في ٤: ١٥)

إن الشخص الكثير المشاغل، المجهد المتعب القلب، الذي يساء الظن فيه، الذي تلاحقه الهموم الكثيرة، والمشاغل العديدة، يحتاج إلى مكان يستريح فيه جسده المضنى، وتستريح فيه النفس في جو المحبة وعلى فراش العطف، حتى يسوع كان يجد بيت عنيا، وجيد أن يوجد هذا المكان في "البيت"، حيث نجد الباب الذي يعلق دون متاعب الحياة، يُفتح أمامنا لنستمتع بالمحبة والعطف والخدمات الرقيقة التي تتميز بها المرأة. إن العالم لا يُقدر النصيب الكبير الذي قامت به المرأة في تغذية أعظم أبطاله بالصبر والشجاعة في هدوء الحياة العائلية توجد الأيدي الرقيقة التي تضمد جروح الجلدات وتسكب الزيت وتُمكن الجندي من العودة إلى ميدان الجهاد.

على أن الكثيرين ممن أسدوا للعالم أجل الخدمات قد حرموا من هذه الحياة العائلية. رغم حاجتهم الشديدة لهذا العطف، كانت العزلة والوحدة نصيبهم؛ أولاً بسبب مقتضايات مراكزهم، وثانيًا؛ لأنه كان من الصعب أن يجدوا الشخص الذي يعطف عليهم، أو يكشفوا قلوبهم إليه. هكذا كانت الحال مع بولس. لقد كان مستقلاً بذاته قويًا يشبه جبال طرسوس الشامخة التي اكتست منحدراتها بالخضرة اليانعة. بينما وقفت قممها العالية شامخة في عزلتها. وقليلون هم الذين ظفروا بمثل ما ظفر به من رقة العواطف مع الغيرة المتقدة؛ فإن التحيات الخاصة الرقيقة التي خُتمت بها رسائله والدموع الغزيرة الحارة التي كانت تسيل منه عند توديع الأصدقاء، وآلامه النفسية عندما كان يجرح إحساس أولئك الذين كان ملزمًا بأن يصحيهم ويوبخهم، وشدة اشتياقه لوجود رفقاء معه - هذه كلها تدل على إخلاص وشدة محبته. ولكن كان من نصيبه ان لا يجد بيتًا يستقر فيه، أو مكانًا يصح أن يدعوه بيتًا عائليًا.

نعم، دون عطف الأخت أو الأبنة،

ودون معونة الأب أو الابن.....

وحيدًا على الأرض وشريدًا في البحار،

أقصى أيامي بالصبر حتى أتمم عملي..

ومع ذلك، فقد كانت للرسول جاذبية خاصة ليجذب نحوه الرجال والنساء. لقد رأينا كيف اجتذب سيلا وتيموثاوس، وكيف كان الغلاطيون مستعدين أن يعطوه عيونهم؛ ولكنه، كان مزمعًا الآن أن يربح مجموعة من الأصدقاء يفترون على محبته مدى الحياة، مخلصين له، مهما ابتعد عنه الآخرون يزدادوا في خدمته، مهما حلت المتاعب أو الأخطار. كانت فيلبي مزمعة أن تكون له ألمع البقع في كل الأرض أفضل من طرسوس التي جحدته، وأفضل من أورشليم التي طردته ولا يفضلها إلا الفردوس.

لقد كسبت قلوب الأخوة والأخوات...

لا يزال البعض أحياء على الأرض....

هوذا الجميع يرحبون بي.....

كما يرحب بي رأس أسرة الله التي بلا لوم..

١. لوقا

يبدو أن هذا الطبيب المحبوب التقي به أولاً في ترواس، الأرجح جدًا أن هذه المقابلة قد تمت بدون ترتيب سابق، لأن الرسول وجد نفسه مضطرًا لاتخاذ طريقه نحو هذه الميناء القديمة التي كانت لها أهميتها التاريخية، إذ كانت تحمل آثار حصار طروادة، وأهميتها التجارية بسبب علاقتها مع الشرق والغرب. كانت كل مقاطعات آسيا الصغرى الشمالية ترسل حاصلاتها إليها لتصديرها برًا إلى مقدونية واليونان، وكان تجار الغرب المكدونيون يأتون

إليها ببضائعهم بدلاً من الحاصلات. ويظن أن لوقا، الذي كان من أهل فيلبي، سار في إثر الحركة التجارية لمزاولة مهنته كطبيب بين بني وطنه، وربما كانت إقامة بولس المؤقتة، في الحي اليهودي المزدحم، سببًا في نكسته بالمرض الشديد الذي كان يشكو منه في غلاطية، أو في إصابته بالملاريا، فأضطر لاستدعاء أقرب طبيب، وهذا كان لوقا. وعلى أي حال، ففي تلك المدينة، التقى هذان الرجلان، وفيما على الأرجح جدًا ربح خادم اللّه طبيبه المعالج للمخلص، واختار هذا التلميذ الجديد، بحماسة شديدة، أن يلازم بولس في رحلاته، لكي يتمكن في كل وقت من معالجة جسد صديقه الكثير الأمراض.

وللحال، وضعت فيه الثقة، وأصبح واحدًا من تلك الجماعة القليلة التي حدثها بولس في صباح أحد الأيام عن رؤية الرجل المكدوني، واشترك معه ومع سيلا وتيموثاوس في استخلاص هذه النتيجة، وهي أن الرسول يجب أن يعبر فيما وراء بحر اليونان، حيث ينتظره التوفيق العظيم، وذهب ليرتب السفر في إحدى السفن الكثيرة الراسية في الميناء، وسجل باهتمام كبير، وتوفيق شديد، خطوات الرحلة إلى فيلبي.

أصبح لوقا عزيزًا جدًا لدى الرسول، فاتصل به اتصالاً وثيقًا، وهذا يتبين في عبارتين، دونت الأولي من البيت الذي استأجره في السجن الروماني الأول والثانية من أعماق السجن الثاني «لُوقَا الطَّبِيبُ الْحَبِيبُ» (كو٤: ١٤) «لُوقَا وَحْدَهُ مَعِي» (٢تي٤: ١١).

إكليل الحياة

(يع ١ ، رؤ ٢)

لمرتين فقط في العهد الجديد نقرأ عن هذا الإكليل الأبدي للمؤمنين، وتحديداً لفريقين منهما: الأول هو مَنْ يحتمل التجربة المؤلمة التي يسمح له الرب أن يجتازها، والثاني هو مَنْ تُكَلِّفُهُ أمانته للمسيح في زمن الإضطهاد الشديد أن يموت شهيداً من أجل اسم الرب .

والقاسم المشترك بين هذا وذاك أن كلاهما - إن جاز التعبير - لم يستمتع بحياته الزمنية الطبيعية على الارض كسائر البشر، بل وحتى المؤمنين، وذلك لأسباب لادخل لهم بها ولا يَدّ لهم فيها .

لكن اللّه أمين، وليس بظالم، فسيمنح أمثال هؤلاء الذين لم يستمتعوا بحياة طبيعية، وأولئك لذين أجبروا قسراً على مغادرة الحياة مبكراً سيمنحهم «اكليل الحياة»، وهو في تقدير الكثيرين إكليل خاص بتعويض أبدي خاص واستمتاع خاص بالحياة في الأبدية يعوضهم الرب به عمَّا تحمَّلوه وعانوه في العالم .

إن فكراً كهذا كفيل بأن يمنح قلوبنا سلاماً مهما يكن نصيبنا من الألم، ومن جهة أحبائنا المتألمين والمضَّهدين والذين غادروا الحياة الأرضية مبكراً عن سائر البشر إن جاز القول. وفيها إجابات عن تساؤلات محيِّرة كثيرة، وان كانت كل الإجابات الكاملة والشافية تنتظرنا في المجد عن قريب.

من روائع الكلمة

حياة الأبرار .. وموتهم!

ليس أروع من حياة الأبرار! وبالتالي ليس أجمل من ختام حياتهم!

يومًا تمني رجل عاش في شرور أكاذيبه: «بلعام» النبي الذي استأجره بالاق ليلعن له شعب الله! قال متمنيًا «لِتَمُتْ نَفْسِي مَوْتَ الأَبْرَارِ» على أنه كيف لَنْ يحيا حياة الأشرار أن يموت ميتة الأبرار؟ هيهات طبعًا!

لقد عاش إبراهيم وموسى ويشوع واليشع وبولس وبطرس ويوحنا وملايين عبر العصور عيشة الأبرار فجاءت نهايتهم المنطقية ميتة أبرار! حقًا هكذا تكون الحياة.. وهكذا يكون الموت!

قريبًا ستسعلن نصرة ربنا يسوع المسيح على الموت عندما ينتهي ويُبتلع إلى غلبة بشكل تام «وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ» لكن «وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (١يو٢: ١٧). وليتنا جميعًا هكذا!